

العنوان:	أدب الخلاف
المصدر:	مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
المؤلف الرئيسي:	الربيع، وليد بن خالد
المجلد/العدد:	س 43, ع 495
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2007
الشهر:	ذوالقعدة / ديسمبر
الصفحات:	50 - 51
رقم MD:	444982
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	عدم كتمان الحق، الأخلاق الإسلامية، آداب الخلاف، الإخلاص، الحدود الشرعية، الالتزام، احترام الرأي الآخر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/444982



أدب الخلاف

أدب الخلاف هو الأخلاق والصفات التي ينبغي التحلي بها عند ظهور اختلاف بين المسلم وأخيه المسلم أو غير المسلم في المسائل العلمية أو العملية، فأدب الخلاف يمثل الصورة المثالية والأخلاق التي ينبغي أن يكون فيها الاختلاف في الرأي، وقد ترك لنا سلف الأمة ثروة زاخرة بالأمثلة الرائعة من أدب الخلاف.

■ تحقيق الإخلاص

الإخلاص مطلب شرعي في كل أحوال المسلم لقوله تعالى:﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾، وهو مطلب مهم أيضا عند الاختلاف في المسائل العلمية أو العملية، فينبغي أن يكون قصد الإنسان عند الاختلاف مع غيره (تحقيق الحق وتثبيته) لا أن يقصد الغلبة للخصم والظهور عليه، قال الشافعي: «ما ناظرت أحدا إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا قط ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه».

قال شيخ الإسلام ابن يتيمة: «وإذا كان مبتدعا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقا يخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يضل الرجل الناس بذلك، بين أمره للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله، وهذا كله يجب أن يكو على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساويه مظهرا للنصح وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه فهذا من عمل الشيطان و«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، بل يكون الناصح قصده أن الله يصلح ذلك الشخص وأن يكفي المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم ويسلك في هذا المقصود أيسر الطرق التي تمكنه.


بقلم: د. وليد خالد الربيع- الكويت

والإخلاص سبب لنيل التوفيق من الله عز وجل قال ﷺ: «إنما

ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

■ عدم كتمان الحق

من أدب الخلاف الحرص على إظهار الحق وعدم كتمانه والإقرار به ولو ظهر على لسان المخالف، فهذا من النصح لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، قال جرير بن عبدالله: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

قال الشافعي: والله ما ناظرت أحدا إلا على النصحية أو قال: ما ناظرت أحداً وأحببت أن يخطئ.

■ التزام حدود الشرع مع المخالف

وجود الخلاف بين الناس ليس مبررا ولا مسوغا لأن يظلم المسلم من يخالفه أو يتعدى حدود الشرع في التعامل معه، فبعض الناس تحمله نفسه وشيطانه على الانتصار لنفسه ممن خالفه - ولو كان معذورا أو متأولا- فيتجرأ على ظلمه أو احتقاره أو الافتراء عليه ونحو ذلك من أوجه الانتصار بالباطل للنفس وقد قال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾«المائدة -٨»، قال الشيخ ابن سعدي: «ومن أعظم أنواع القسط: القسط في المقاولات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه إليه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما ... والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدلها على دين القائم وورعه».

وقال تعالى:﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾، قال الشيخ ابن سعدي: «أي بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون والإنصاف وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم، بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه وأن يبين ما فيها من الحق والباطل ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه. «وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى، وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه«قال المناوي: فلا يحمله الغضب على الجور ولا الرضا على الوقوع في المحظور لأجل رضا المخلوق.

بنفسه «قال المناوي: فلا يحمله الغضب على الجور ولا الرضا على الوقوع في المحظور لأجل رضا المخلوق.

قال شيخ الإسلام في بيان أدب الإنكار: «أن يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم... فإن كثيراً من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، سواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين».

فكون المخالف كافرا لا يبرر ظلمه أو غشه أو البغي عليه لأن الكفار أنواع فمنهم المحارب ومنهم المعاهد ومنهم المستأمن وقد قال عز وجل: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾.

ولو كان المخالف فاسقا عاصيا فليس هذا مسوغاً لشتمه أو تغليظ القول له ولا لتقنيطه من رحمة الله، فقد أتي برجل شرب الخمر فقال ﷺ: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان» أخرجه البخاري، وفي رواية أبي داود: «ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه».

وإن كان المخالف من العلماء العاملين أو الدعاة الصادقين وصدرت منه الزلة أو الهفوة أو الخطأ العلمي أو العملي فليس هذا مبررا لهدم جهوده في خدمة الدين وتركه بالكلية، قال شيخ الإسلام: «وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن يضبط، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوم بني قريظة «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم الصلاة في الطريق، فقال قوم: لا نصلي إلا في بني قريظة وفاتتهم العصر، وقال قوم: لم يرد منا تأخير الصلاة فصلوا في الطريق، فلم يعب واحدا من الطائفتين.

وقال الذهبي: «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلته ولا نضلله وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته ونرجو له التوبة من ذلك».

■ التزام أدب الحوار

الحوار هو وسيلة التفاهم واستطلاع الآراء وتبادل المعلومات، وهو سبب لاقناع الآخرين بالحق وتغيير مفاهيمهم الخاطئة، فمن الأهمية أن يكون الحوار رفيع المستوى بعيدا عن التجريح والإساءة للخصم ليكون ذلك أدعى لقبوله الحق وانصياعه له، وقد ضرب لنا القرآن أروع الأمثلة في أدب الحوار المتمثل في مناظرة الرجل لقومه وجدالهم لهم بكل موضوعية وأدب رفيع بعيدا عن اللغو والخوض فيما لا ينفع وسوء الخلق، وقال عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون وقومه: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾.

فمن أدب الحوار ضبط النفس والبعد عن الغضب والانفعال، وكذلك لزوم حسن القول من تكريم المحاور والبعد عن التجريح والهمز واللمز والسخرية، ولابد من التثبت عند نقل الأخبار والآراء والنقولات والأحكام، وترك العجلة بإصدار الأحكام والنتائج قبل استكمال البحث والنقاش.

ومن أدب الحوار التركيز على الرأي من دون قائله بمناقشة القول من دون البحث في نية قائله، ومنح الخصم فرصة ليبين مقالته ورأيه، وترك التهويل والمبالغة في الأمور.

فهذه بعض آداب الخلاف وغيرها كثير مما يجدر بالمسلم التزامها عند تباين وجهات النظر واختلاف الآراء سواء في المسائل الدينية أو الدنيوية حفاظا على وحدة الأمة وسلامة الصدور بين المسلمين من الغل والحقد والضغينة وسلامة الألسن من الاحتقار والغيبة والسخرية.